حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الرابع ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٥هـ / تموز ـ ٢٠١٤م

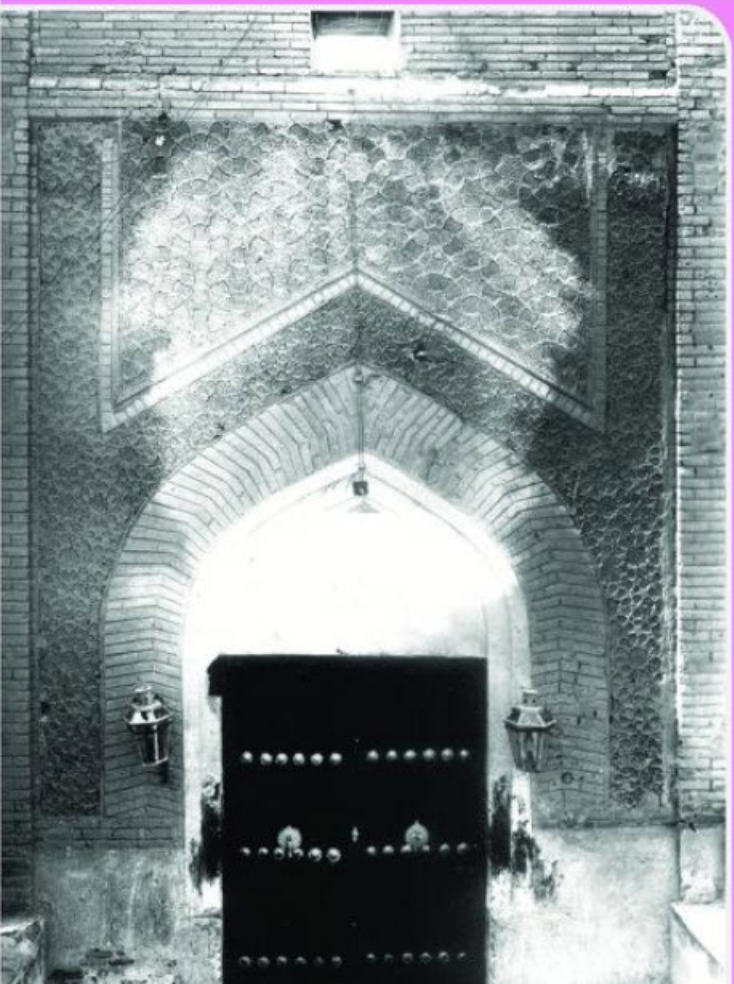

٤

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الأحامرة ومسجدهم بالكوفة

الدكتور محمد سعيد الطريحي
رئيس تحرير مجلة الموسم الهولندية

الأحامرة قوم من الأعاجم نزلوا الكوفة وأصلهم من بلاد الديلم وبعض أماكن إيران وضواحيها وإليهم أشار عمر بن الخطاب في كتابه إلى أمراء الأمصار «ومن أعتقتم من الحمراء فأسلموا فأحلوقهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوة في العطاء» وقد ساوى الإمام علي بن العرب والحمراء والموالي عامة ولم يفضل مسلماً على مسلم ولذلك قال الأشعث بن قيس مخاطباً الإمام علي «يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك» ولما سأل الإمام عن ذلك قال: «قرأت ما بين الدفتين -يقصد القرآن- فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحق فضل». ولما أكثر العرب اللوم على الإمام لمساواته بين العرب والموالي أجابهم: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور». وفي أيام معاوية وصل عدد الأحامرة بالكوفة عشرين ألفاً ولما بلغه ذلك قال: «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وكأنني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطرا لإقامة الإقامة وعمارة الطريق» ثم أنّه عدل عن ذلك.وكان مجيء المختار للكوفة عهد ازدهار لبني الحمراء إذ أنه استطاع أن يستميلهم إليه بأعداد ضخمة وأن يحارب بني أمية ومناهم بالعطاء الكثير وأركبهم على الدواب حتى جاءوا إليه متطوعين وكان عددهم في جيشه أضعاف عدد الأحرار. ويروى أن جيش المختار بلغ حوالي (عشرين ألف أغلبهم من الذين اتخذوا اسم حمراء ديلم من الفرس، وروي أنه لم يسمع في جيش المختار كلمة عبية، ويجب أن ننبه على أن هذه الطائفة كانت تتربص الأحداث للإيقاع بالعرب فهم وإن دخلوا في الإسلام فلم تترسخ في أذهانهم العقيدة الجديدة مع ما ألفوه قديماً من ديانات الفرس التي دانوا بها عبر قرون طويلة ولهذا أثر بالغ في الفتن والاضطرابات الكثيرة التي ظهرت في الكوفة وما نشأ عن ذلك من عقائد وفلسفات أشاعت الفرقة بين المسلمين وحسبك أن تعلم من الأدلة على ذلك أنهم كانوا من أبرز العناصر التي أدت إلى فاجعة كربلاء الواقعة الكبرى التي هزت العالم الإسلامي وتراهم بعد حين يساندون حركة التوابين ويكونون العدد الكبير في جيش المختار وينتقمون من العرب الذين شاركوا في قتل الإمام الحسين، وهم يحاولون أن يستغلوا كل ظرف لصالح أمجادهم التي دك حصونها الإسلام فتراهم بعد فشل ثورة المختار يقاتلون إلى جانب عبد الرحمن بن الأشعث ويساندون ثورته ضد الحجاج الثقفي وعندما قضى الحجاج على حركة ابن الأشعث كان همه الأول القضاء عليهم فضيق عليهم الخناق وأرسل قسم منهم لمحاربة الخوارج فهرب أغلبهم إلى الحجاز.. هكذا كان ديدنهم في القرن الأول الهجري وفي إبان القرن الثاني الهجري وبعده نبغ الكثير منهم في العلوم والآ داب والمعارف وبرز منهم عدد لايستهان به من رجال السياسة وكان لهم دوركبير في الدولة العربية الإسلامية وقد ظهرت هذه النتائج الإيجابية بعد حين من اعتقادهم بالإسلام وكانت أجيالهم الجديدة أكثر إيماناً به فنشأوا وتربوا في ظل الإسلام ونفذوا تعاليمه منذ الصغر ودأبوا على دراسة العلوم الإسلامية وشاركوا مشاركة فعالة في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي شهدتها الدولة ولم يتوان عن ذلك إلاّ ما شذّ وندر منهم ممن كاني حمل ترسبات اجتماعية قديمة أو نزعات ضيقة الأفق تتصل بعقائد الفرس القدماء.

ولهذه الطائفة مسجد يعرف بمسجد الحمراء وكان مركز اجتماعاتهم وملتقاهم الذي يتداولون فيه أمور السلم والحرب وهو يقع في خطتهم المعروفة باسمهم وموقعه الآن على الجانب الأيمن من نهر فرأت الكوفة ونو مشيد حالياً على أنقاض بنائه القديم بجانب القبر المنسوب للنبي يونس بن متى(عليه السلام) وورد في بعض اخبار بأنه كان قديماً في موضع

بستان، وإن الإمام علي صلّى فيه وجاء فيه أيضاً:(أن ستنفجر عين ماء فيه تروي السبخة وما حولها) وكان هذا المسجد مندثراً إلى عهد متأخر إلاّ أنه كان واضح المعالم والحدود ومحرابه الأصلي القديم ما يزال تحت مرحابه الحالي المشيد (سنة ١٣١٢هـ-١٨١٤م) إذ جدد بناء المسجد في هذه السنة وممن أرخ تجديده الشاعر السيد جعفر الحلي بقوله:

الحمد لله الذي من فضله
أحيى جميل مآثر القدماء
قد جددت آثار مسجد يونس
باجل تاسيس وخير بناء
يا طالب الأعمال قد أرختـه
(اعمل فهذا مسجد الحمراء)

ونقض هذا التاريخ الشعري القاشاني الموجود في أعلى باب المسجد الشمالية الوحيدة وعند تجديد المسجد ادخل المسجد الأصلي بحدوده القديمة داخل البناء الجديد وجعل لبابه القديمة رسماً تحت سطح المسجد ثم أضيف إليه فما يلي الشرق مقداراً واسعاً كان بركة من ماء الفرات فالقي فيه التراب وأوصل بأرض المسجد وصار مأوى للزائرين والمسافرين في السفن في أوائل القرن العشرين حيث شهدت الكوفة الحديثة نشاطاً تجارياً منقطع النظير جعلها من أهم مراكز تجارة الفرات الأوسط وفي سنة ١٣٤٢هـ-١٩٣٢ شيد للمسجد منارة أسطوانية ترتفع حوالي ١٢متراً ويصعد لسلتها بواسطة سلم حلزوني والسلة زخرفة من الخارج بالنقوش الجميلة وزيّنت بالمقرنصات وقد بنى هذه المنارة المعمار جواد البغدادي الكرادي (نزيل الكوفة آنذاك) والمتبرع بنفقات البناء الحاج عبد الكريم الديوان (١٨٧٤-١٩٣٩) أحد وجوه البصرة ويقال أنه بات ذات ليلة في الكوفة فلم يسمع نداء الآذان لصلاة الفجر ولما استفسر عن ذلك علم أن لا منارة في المحلة التي كان بها فأمر من تلك الساعة ببناء منارة الحمراء وأرخ الانتهاء من بنائها الشاعر الحاج عبد المجيد العطار الحلي بأبيات كتبت على القاشاني الأزرق على الطرف الغربي من المنارة وهي:

رفعوا للأذان في مسجد الحمراء
منارا على السهى يستطيل
ذاك (عبد الكريم) منه بناء
فتسامى له مقام جليل
حبذا للصلاة داع فمنه
لأداء الفروع قامت أصول
وعليه النداء أن أرخوه
(فالنداء التكبير والتهليل